



الحقيقة التي عشتها..
بجمال عبدة الناصر

اقول

الجزء الثاني

كلحت

سنة

02262774



Biblioteca Alexandrina

اهداءات ٢٠٠١

١/ محمد المنعم فرج السيد

مكتبة البلدية سابقا

كلمة صريحة

- ٢ -

موعد في الأرض المقدسة



لست أريد أن ألقى كلاماً عاماً...
ولست أريد أن أرفع معنويات الجيش بعد هزات غزة الأخيرة
أريد أن أقول الحقيقة... جمال عبدالناصر

صدر عن إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة ١٩٥٥

شراك العنكبوت

في احدى دور السينما . في القاهرة . منذ بضعة أسابيع . شاهدت قصة سينائية مثيرة .

قصة بوليسية ، من ذلك النوع الذى تتفنن فيه هوليوود ، ويتبارى مخرجوها فى ملئه بكل ما يشد أعصاب الناس ، ويكاد يحبس عليهم أنفاسهم من حبكة المناجاة وقوة اصطناع المؤثرات .

وكان للقصة — ككل قصة — بطلان : أولهما استولى الشيطان على قلبه وعقله فزرعهما بالشر والدهاء .

وثانيهما رجل طيب يؤمن بالخير وبالحب بين الناس .

وتطورت ظروف القصة .

وأن الرجل — الذى ملكه الشيطان — يرتكب جريمة قتل ، واكثر من ذلك يرتب مسرح الجريمة بحيث يلقي التهمة كلها على الرجل الطيب .

وتمضى حوادث القصة الى ذروة الاثارة ، فاذا الشبهات تحيط من كل جانب بالرجل الطيب ، واذا الريب تطبق عليه من اليمين ومن الشمال ، واذا نظرات الشك تلاحقه ، ثم اذا بالتهم تمسك بتلايبه وتضعه داخل القفص الرهيب .

الرجل الطيب يكاد يحسن ... يكاد يفقد أعصابه .
 ينكر ويلج في إنكاره فلا يجد من يسمع أو يصدق حتى أقرب
 الناس إليه !
 يحاول أن يدفع عن نفسه شر الك العنكبوت التي وقع في أحاييلها ،
 فاذا الشواهد الملققة — التي أحسن تلفيقها — تشده بأغلال جديدة .
 يتخبط الرجل الطيب ، ويضيع ، وينهار !
 يمسكه اليأس على نفسه ، وتختلط معالم الحق في وجدانه المهزوز
 بعالم الباطل الذي دس عليه .
 حتى هو . . أخيراً . . من ضغط الإلحاح عليه ، وشدة الحصار
 حوله ، يكاد يعترف على نفسه بجريمة لم يرتكبها . . ولم يفكر يوماً
 في ارتكابها !

المجرم الحقيقي !

لقد ذكرتني هذه القصة بجيش مصر في فلسطين .
 لقد كانت في فلسطين هزيمة ، كما كان في القصة السينمائية جريمة ،
 ولكن من الذي هزم في فلسطين !
 في رأي أن جيش مصر لم يرتكب جريمة فلسطين ، وإنما ارتكبها
 غيره ، وزيف الأدلة عليه ، ودبر الشبهات حتى تلاحقه ، وتحمله الوزر
 الذي هو منه براء .

وكما حدث في القصة حدث في الجيش .

كاد الجيش الطيب نفسه ، يصدق مهزلة هزيمته وكاد أقرب الناس إليه — شعب مصر وغيره من الشعوب الصديقة — ينطلي عليهم الزور ويصدقونه !

ولقد انجلى الأمر ، وبان الحق ، في القصة السينمائية بعد ساعة أو أكثر وخرج البريء رافعاً رأسه من القفص . . ودخل المجرم الداهية لكي يلتقي حسابه .

ولكن في المأساة التي عشناها في فلسطين ، مضى الكابوس الرهيب ، ست سنوات . . طويلة مظلمة .

وحين وقعت في الكلية الحربية منذ أيام أقول أن الجيش المصري لم يهزم في فلسطين ، لم أكن أريد أن ألقى كلاماً حماسياً . . ولا كنت أريد أن أرفع من معنويات الجيش بعد حادث غزة الأخير . كنت أقول الحقيقة التي عشتها ،

كنت أحاول أن أمزق نسيج العنكبوت التي وقع جيشنا فريسة له . كنت أريد ببساطة أن أقول : أن هذا الجيش لم يرتكب هزيمة فلسطين . وأن الهزيمة لفقت عليه . ودبرت مظاهرها من حوله افتراءً وبهتاناً .

لقد كان هناك مجرم آخر يجب أن يحاسب على الهزيمة .
أما الجيش فيجب أن يخرج من قفص الاتهام .

٦ سنوات تحت الكابوس ١

لم أكن في مأساة فلسطين أجلس على مقاعد المتفرجين ، كما كنت في تلك القصة المثيرة التي شاهدتها في إحدى دور السينما في القاهرة منذ بضعة أسابيع .

كنت أيامها على المسرح مع غيري من آلاف الضباط والجنود الذين زيفت عليهم هزيمة لم يرتكبوها .

وأنا أذكر اليوم كيف بدأ دوري في المأساة .

كنا في شهر أبريل سنة ١٩٤٨ .

وكان تنظيم الضباط الأحرار قابعا بمنكشا على نفسه ، فقد كانت كلاب الصيد تتحسس آثارنا من كل اتجاه .

كانت هناك محاولة في الجيش لم يكتب لها النجاح .

وكانت عيون البوليس السياسى متجهة إلى الجيش .

وكان الوقت بالنسبة لنا غير صالح للحركة على الإطلاق .

وكانت اجتماعاتنا قليلة فلم نكن نريد أن نلفت إلىنا أنظار أحد .

وكنتم منهمكا في الاستعداد لانهاء الدراسة في كلية أركان الحرب .

ولكن هموم الدراسة ومشاقها لم تستطع في ذلك اليوم أن تصد عن أذنى طبول المعركة التي كانت تدق في فلسطين .

وكانت الحماسة بالغة وروح القتال على أشدها خصوصاً بين زملائنا

من الضباط الشبان ، وكان كثيرون من إخواننا في تنظيم الضباط الأحرار

يتسللون إلى في خفية من عيون الرقابة ليهمس الواحد منهم في أذني بانه يريد أن يتطوع للقتال في فلسطين .

وكنت في حيرة مع نفسي .

كانت هناك عوامل كثيرة تتنازع تفكيري .

هل أتطوع أنا الآخر ، أخلع ملابس الرسمية ، وأحمل مدفعا صغيراً في يدي وأمضي إلى المعركة . . أم أنتظر انتهاء الدراسة في كلية أركان الحرب وقد قضيت أكثر من عام أستعد له . ولم يبق عليه إلا شهر واحد ؟

واجتمع فريق من أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار في ذلك الوقت في بيتي ، واستقر الرأي على أن يسافر بعضنا الى فلسطين متطوعا ويبقى البعض الآخر في القاهرة .

موعد في الأرض المقدسة ١

وذات صباح وجدت نفسي في محطة القاهرة ، مع عبد الحكيم عامر ، وزكريا محيي الدين ، نودع صديقنا وزميلنا في اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، كمال الدين حسين ، وكان في طريقه الى فلسطين مع غيره من الأصدقاء والزملاء .

كنا نهتمهم على الفرصة المتاحة لهم ، وكنا نواعدهم على اللقاء بعد يوم غير بعيد في الأرض المقدسة التي سيسبقوننا إليها . وكنا نؤكد

لهم في حماسة ملتبية أننا سنحاول من القاهرة أن نبذل جهدنا لانجاح
معركتهم .

وكان آخر شيء قلته لجمال الدين حسين قبل أن يتحرك القطار :
— اذا احتجت شيئا فابعث الى ، سوف ألاحق أية طلبات لكم
في الجيش ، ولن نترك الروتين العادى والتواكل والتهاون ، تعوق
طريقكم !

وتحرك القطار وقلوبنا تهتز من فرط الانفعال .
ولم أعد يومها الى بيتي ، وانما طرقت باب إحدى الصحف اليومية ،
وطلبت الى رئيس تحريرها أن يسمح لى بأن أكتب له وصف سفر القطار
المتجه الى فلسطين ، وجلست . وقلبي ما زال يهتز من فرط الانفعال ،
وكتبت ما حدث في محطة القاهرة ، وظللت ساهراً في دار الصحيفة أنتظر
أن تدور عجلات المطبعة بما كتبت !

عاصفة من الدموع

وبدأت أيام شهر مايو ونحن ما نزال في القاهرة ، وأعصابنا تحيا
في فلسطين .

كننا نعيش في دوامه من الأفكار والمشاعر .

وذاذات يوم قيل لنا أن دفعتنا من كلية أركان الحرب سوف تتخرج
قبل الوقت المحدد ، فان احتمالات فلسطين قد تقضى بهذا

وكان احتفال التخرج بسيطا سريعا ، هرعنا بعده لنعرف الى أين ينتهى بنا المطاف ، وصدرت الى الأوامر بأن التحق بالكتيبة السادسة .
 وصدرت الى عبد الحكيم عامر لى يلتحق بالكتيبة التاسعة .
 وصدرت الى زكريا محي الدين لى يلتحق بالكتيبة الأولى .
 وكانت الكتائب الثلاث يومها على الحدود ، ولم يكن هناك من يعرف على وجه اليقين ، ما الذى ستأتى به الأيام المقبلة !
 وكنا نحن الثلاثة — على أى حال — نتعجل الزمان لى نستطيع أن نلحق بكتائبنا على الحدود .

وكانت الأوامر الصادرة لنا أن نغادر القاهرة يوم ١٦ مايو .
 ولكن حماسنا لم تكن تطيق الانتظار فقد كانت الصحف تطالعنا كل صباح بفيض من الأنباء عما يجرى فى فلسطين ، وفى الوقت ذاته كانت هناك تخمينات كثيرة وظنون متضاربة عن الموقف الرسمى الذى قد تتخذه الحكومة المصرية فى ذلك الوقت .
 ولم يبد من سياق ما كنا نقرؤه فى الصحف شىء واضح على وجه التحديد ولكن احتمال دخول حرب فلسطين كان قد بدأ يظهر ، وكان الشعور فى كل مكان حولنا فياضاً دافقاً .

وغادرت بيتى صباح ١٦ مايو أحل حقيبة الميدان بعد أن تركت على إحدى الموائد صحيفة الصباح ، وكانت صفحتها الأولى مليئة بالبلاغ

الرسمى الاول الذى صدر عن وزارة الدفاع فى ذلك الوقت يروى للناس
بداية العمليات الحربية فى فلسطين .

وتملكنى شعور غريب وأنا أقفز درجات السلم .

« اذن فانا فى الطريق الى ميدان القتال ! »

واتجهت بى السيارة الى بيت عبد الحكيم عامر فقد كان مقرراً أن
أمر عليه وعلى زكريا محيى الدين لى نساfer معاً . وتركت فكرة ميدان
القتال تستولى على أفكارى كلها فقد كنت أريد أن اتجه الى الذى
يلتظرنى ، وأننى تماماً كل ما تركته وراء ظهرى ، وأنسى شبح عاصفة
من الدموع لمحتها تتجمع قبل أن أخرج من بيتى وتنتظر أن أبدأ
هبوط السلم لى يبدأ تساقطها ! !

فى الطريق الى الميدان ١

وكان القطار الذى غادر القاهرة متجهاً نحو الحدود ، حيث جبهة
القتال نموذجاً رائعاً لأمثاله أيام الحروب .

الضباط والجنود فى كل ركن منه .

ربطات الميدان تسد الممرات .

قطع السلاح والحوادث المتناثرة تضى على الجلوسه أخيره معبرة .

وكانت الحماسة تطبع كل حركة وكل كلمة وكل نظرة فى عين ١

وكانت هناك أحاديث عن المجهول الذى ينتظرنا والذى كنا نريد

أن نقذف أرواحنا وأجسادنا فى أقداره الخبيوة .

وكانت هناك في بعض الأحيان ، أحاديث عن الزملاء الذين سبقونا
الى الميدان والذين تركناهم وراءنا في العاصمة .

ولم يسكد القطار يتحرك في اتجاه ميدان القتال حتى أصبح الركن
الذى جلسنا فيه — عبد الحكيم وذكريا وأنا — أشبه ما يكون بغرفة
عمليات حربية .

وفتحنا خريطة كبيرة بيننا ، وبدأنا نناقش الموقف .

وبدت أماننا للوهلة الأولى فجوات كان يمكن أن يتسرب منها الى
خطوطنا خطر .

كان الجيش المصرى يومها مكونا من تسع كتائب ، ولكن ثلاثا
منها فقط كانت قرب الحدود حينما صدر الأمر بدخول فلسطين ، وكانت
هناك رابعة في الطريق .

وكنا تتساءل والقطار يندفع بنا الى ميدان القتال :

« لماذا لم يحشد عدد كبير من الكتائب ما دمنا نريد دخول حرب
في فلسطين ! »

ولماذا لم يستدع الاحتياطى لى تكون منه كتائب جديدة ترسل
الى الميدان على عجل ؟

ثم لماذا يصف البلاغ الرسمى الاول عمليات فلسطين بأنها مجرد حملة
لتأديب العصابات الصهيونية ؟

وعلى أى حال فان الحماسة لم تلبث أن ملأت الفجوات جميعا ،
وسدت ما بينها !

العريش تحت الظلام !

ولكن الاحساس بالفجوات المنذرة بالخطر لم يلبث أن عاد إلينا
عندما وصل القطار بنا إلى العريش .

كان المظهر الخارجى للبلدة الفارقة فى ظلام الليل الحالك يتلاقى فى
خيالنا مع الهيبة التى كنا نتصورها للقاعدة الخلفية لميدان العمليات ،
ولكن المتناقضات كانت تصدمنا كلما تعمقنا داخل المظهر الخارجى
إلى صميم العمل الحربى الذى كان يجب أن تقوم به القاعدة !

لم يكن هناك من يهتم بنا أو يرشدنا إلى الذى يتعين علينا أن نصنعه .
ولم نكن ندرى أين مواقع وحداتنا بالضبط حتى نستطيع أن
نلحق بها ، ولم نجد أحدا يستطيع أن يرشدنا إلى هذه المواقع .
وذهبنا إلى رياسة المنطقة ونحن نتصورها خلية نحل تنز بالحركة
الدائبة ، ولكن رياسة المنطقة لم يكن بها أحد كأنما هى بيت مهجور ،
فى بقعة من الأرض ، لا يسكنها بشر .

وحين عثرنا على أركان حرب المنطقة ، كان الشاب يمحث عن عشاء
لنفسه !

واستغننا على ما كان معنا من بقايا طعام ، وكانت أصوات ضحكاتنا
وأحاديثنا تجلجل فى البيت المهجور ، وكانت لاصدائها فى نفسى مشاعر
غريبة .

وجاءتنا الأخبار بعد العشاء بمواقع كتابتنا على وجه التخمين .



في ١٥ مايو كانت لنا ٣ كتائب في فلسطين : الاولى والتاسعة
تزحفان تجاه غزة والسادسة تتجه إلى مستعمرة الدنيجور

كانت الكتيبة التاسعة في غزة ، وكذلك الكتيبة الأولى .
 أما الكتيبة السادسة التي كنت سأعمل أركان حرب لها فقد كانت
 ما تزال في رفح ، وان كانت قد تحركت منها إلى عملية ضد مستعمرة
 الدنجور ثم عادت إليها مرة أخرى !
 واقتربنا .

ركب عبد الحكيم وزكريا سيارة جيب إلى غزة .
 وركبت أنا سيارة أخرى إلى مواقع كتيبتى في رفح !

ضحايا المعركة

كان الجو في الكتيبة السادسة حين وصلت إليها في حال عجيب
 كانت الكتيبة قد فرغت لثوها من عملية ضد مستعمرة الدنجور
 عادت بعدها إلى مراكزها في رفح ، ولقد تركت الكتيبة وراءها على
 أرض المعركة حول الدنجور بعض الضحايا ، ولكنى أحسست أنه كان
 بين الضحايا الذين تركتهم الكتيبة عند الدنجور إيمانها بالحرب التي
 تخوض غمارها .

وبدأت أسمع التفاصيل ،
 صدرت الأوامر من القاهرة بأن تتحرك الكتيبة إلى الدنجور في
 ليلة ١٥ مايو
 ولم يكن هناك وقت لكى تستكشف الكتيبة غرضها الذي
 سوف تهاجمه ، وكذلك لم تكن هناك معلومات قدمت لها عنه .



استمرت الكتاب الثلاث تتقدم . . وصلت الأولى والتاسعة
إلى شمال الجهة وكلفت السادسة بأن تحتل مواقع أسدود .

وكان هناك دليل عربي واحد نيطت به مهمة قيادة الكتيبة الى موقع مستعمرة الدنجور، ولم يكن هذا الدليل يعلم شيئاً عن تحصيناتها ودفاعها، وكل الذى قام به هو أن ظل يرشد الكتيبة الى الطريق ويدلّ لها بمعلومات غير واضحة ولا دقيقة حتى ظهرت أمامها فجأة تحصينات الدنجور .

ولم يسترح الجنود بعد الرحلة الشاقة وإنما اندفعوا الى الاسلاك . ولم يكن هناك من يعرف ما الذى يجب عمله على وجه التحديد . ولكن المدافعين عن الدنجور كانوا يعرفون . وأصيبت الكتيبة بخسائر لم تكن متوقعة ، وعند الظهر أصدر القائد أمره بالابتعاد عنها وعادت الكتيبة الى رفح ، لتجد بلاغاً رسمياً أذيع في القاهرة يقول : أنها أتمت عملية تطهير الدنجور بنجاح ! ولاحظت بين الذى سمعت من تفاصيل ظاهرتين هامتين . الأولى أن هناك نعمة بين الضباط تقول أن الحرب حرب سياسية . وكان لهذه النعمة ما يؤيدها ويتناسق معها من كل ما رأوا حولهم . لم يكن معقولاً أن تكون هذه حرباً . لا قوات تحتشد ، لا استعدادات فى الأسلحة والذخائر ، لا خطط ، لا استكشافات ولا معلومات !

ومع ذلك فهم هناك فى ميدان قتال !
إذن فهى حرب سياسية !

هي اذن حرب ولا حرب

تقدم بلا نصر ، ورجوع بلا هزيمة

هي حرب سياسية فقط . . ٩٩٠

والنغمة الثانية ان أساطير من المبالغات كانت تؤلف حول
قوة العدو العسكرية .

لقد فوجئت القسوات بمقاومة مستعمرة الدنجور ولم تكن
تعرف عنها شيئاً .

وسمعت واحداً من زملائنا يروى كيف أن أبراجا تعمل
بالكهرباء كانت تطلع الى سطح الارض وتطلق النار في كل
اتجاه ثم تهبط تحت الارض بالكهرباء أيضاً .
ولم أكن مشتركاً في هذا الحديث ، ولكني لم أستطع
السكوت ، والتفت الى زميلنا أسأله :

— كيف عرفت أنها تعمل بالكهرباء ، انك لا تستطيع
ان تقطع بهذا ، الا اذا كنت دخلت المستعمرة وفحصت قواعد
هذه الابراج . . فهل فعلت هذا ؟

وسكت زميلنا ولكن أساطير الابراج المتحركة بالكهرباء
الضاربة في كل اتجاه لم تسكت .

ولم يكن اللوم في رأي موجها الى هؤلاء الشبان ، انما كان
المسئول عنه نقص المعلومات عن العدو نقصاً قاتلاً مدمراً .

تعبير صادق !

وبدأت بعدها كأركان حرب للكتيبة السادسة أشعر بالخيرة والعجز اللذين كانا يحكان قيادتنا العليا أكثر من غيرى .

وكانت مئات العوامل تتنازعنى ، ولم أكن أعرف الوسيلة التى أعبر بها عما أحس .

واعترف انى سمعت من أحد الجنود تعبيراً واضحاً عن حالتنا . . قاله الجندى بلفظه الساذجة الدارجة . كانت وصفاً صادقاً لما كنا فيه .

جاءت الأوامر الى الكتيبة بأن تهد معسكرها الذى تقسم فيه وتنقل الى مكان آخر يبعد عنه ثلاثة كيلومترات .

ولم أستطع أن أتصور الغرض من هذا التحرك ، ولكن الكارثة الكبرى ان الذين أصدروا أمرهم به لم يكونوا يعرفون لهم غرضاً هم الآخرون .

وكان الدليل على بعد ثلاث ساعات من هذا الامر ، وبينما نحن نقيم المعسكر الجديد ، جاءتنا أوامر جديدة بالتحرك الى المحطة وركوب القطار المتجه الى غزة .

وبدأنا نهد الخيام التى لم نكد نفرغ من إقامتها .

وجاء أحد الجاوشية إلى جندى كان منهمكا فى إقامة إحدى الخيام وقال له .

— يا عسكرى هد الخيمة .

ونظر الجندى فى دهشة إلى الجاوش ، ولما علم أن أوامر جديدة بالتحرك لركوب القطار قد صدرت ، بدأ يهد الخيمة التى هدها فى الصباح من مكانها ، وبدأ منذ الظهر يقيمها فى مكان جديد ، ثم أمر بهدها مرة أخرى قبل أن يفرغ من إقامتها ، . . وسمعت الجندى بأذنى يقول :

— يا خيبتنا . . يا خيبتنا !

يقولها منغمة ممدودة . . بلهجة ريفية ساخرة ، وأحسست أن الشكوك التى كانت تساورنى حول عجز قيادتنا وتردها قد وصلت إلى الجنود . . وان هذا هو التعبير البسيط الساذج عنها .
وركبنا القطار إلى غزة وفى قلبى هموم .

وعلى أى حان فقد كان يخفف من هموى كنت اعلم انى سوف التقي بعبد الحكيم عامر فى غزة ، وانى سأستسلم منه مواقعها فقد كان عليه كاركان حرب للكتيبة التاسعة التى تتولى العمل فيما أن يسلم ، كاركان حرب للكتيبة السادسة المواقع التى سنحل فيها مكانهم .

ليست هذه حرباً !

وكان بينى وبين عبد الحكيم عامر حديث طويل في غزة
ونحن نطوف بالمواقع التي كان عليه أن يسلمها لى .

كانت مواقع الكتائب الأربع في فلسطين يومها كما يلي :
الكتيبة السادسة متحركة من رفح الى غزة .

الكتيبة التاسعة تستعد لمغادرة غزة بعد وصول كتيبتنا اليها .

الكتيبتان الأولى والثانية متحركتان الى الامام في اتجاه المجدل

على الطريق الساحلى !

وأذكر اننى صارحت عبد الحكيم بهواجسى .

فقد كنت أحس ان هناك عملية بعثة لقواتنا ، فنحن
نتقدم على السهل الساحلى ونترك المستعمرات المحصنة وراء ظهرنا
تهاد جناحنا الشرق وخطوط مواصلاتنا .

وتركنى عبد الحكيم عامر مع كتيبته المتقدمة الى الامام
والتي كان عليها واجب في معركة دير سنيد بعد ان سلمنى الف
جنيا . كانت في عهده ، وكان على ان اشترى بهذه الالف جنيه
كل ما أستطيع شراءه من جبن وزيتون !

ام يكن لدى الجنود المتقدمين تعيينات طوارئ . يعتمدون

عليها في المراكز الامامية حيث لا تستطيع الوجبات الساخنة ان تصل اليهم .

ولم يكاف أحد خاطره أن يفكر في أمر وجبات الطواريء .
اللازمة للجنود المحاربين وكل الذي فعلوه انهم بعشوا الينا بألف جنيه وقالوا لنا :

— اشترؤا جبن وزيتون .

واشريت كل ما كان في غزة من الجبن والزيتون ، وقلبي مجروح على الجندي الذي يهاجم المواقع الحصينة بجسده العاري ، ثم يجلس وقت الاكل في حجر كججور الفيران يقرض قطعة من الجبن ، اشترينا كل ما عثرنا عليه منه في غزة بألف جنيه ألقوها الينا وقالوا لنا :

— تصرفوا . .

وكان قلبي المجروح يهتف بي في كل دقة من دقائقه :

« ليست هذه حربا » ١١

وبدأت وأنا في مكاني في غزة ألاحق تطورات معركة دير سنيد التي كانت قد بدأت . . ألاحقها دقيقة بدقيقة .

كنت أسمع دوى المدافع عن بعد .

وكان الجرحى من رجالنا يصلون أفواجا بعد أفواج الى مستشفى
غزة .

وكانت ليلة ٢٠ مايو من أتعس ليالى حياتى .
قضيتها فى مستشفى غزة العسكرى ، والأسرة حولى كلها
مليئة بجرحى معركة دير سنيد التى ما تزال مستمرة ا
« كل هذا وراديو القاهرة يذيع بلاغا أصدرته القيادة العامة
تقول فيه ان قواتنا احتلت مستعمرة دير سنيد واقتحمها اقتحاماً
رائعاً بالمشاة » .

وكانت هذه كذبة مؤلة .
فان المستعمرة لم تكن قد احتلت بعد ، وان كان الشىء
الوحيد الصحيح فى البلاغ الرسمى هو أن المشاة كانت تقوم
بعملية اقتحام رائعة .
وكانت فى أعماق ثورة على الذى كان يحدث أمام دير سنيد
وتصل الى أخباره . .

أية معركة هذه . . هذه التى يستهلك فيها جنود المشاة بهذه
الطريقة المروعة . . فى هجمات نهاريه مكشوفة ، وأجساد عارية
لا تحميها قوات مدرعة ، أمام تحصينات قوية ، ومدافع
ماكينة متحفزة فى أيدى معدة مدربة ؟ صحيح ان موجات مشاتنا لم

توقف ، كانت موجة منهم تسقط أمام النار فتجى موجة بعدها
غير هيابة ولا خائفة . . ولكن كنا نسوق جنودنا الى معركة
أم كنا ندفع بهم فى غير رحمة الى مجزة ؟ !

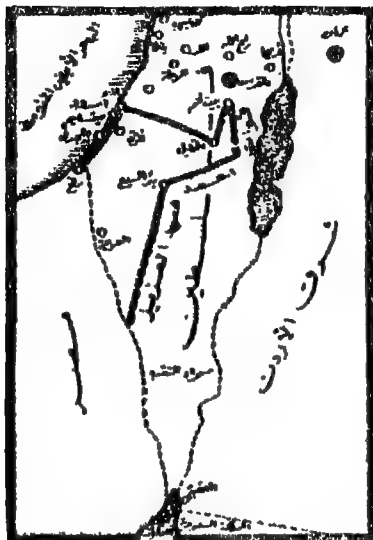
فائد بلا جنود ا

كان الموقف فى الميدان كله يظهر واضحا لعيني وانا فى
مكانى فى غزة .

لقد انتهت معركة دير سنيد بعد تضحيات غالية بالنصر
برغم كل المضاعف التى كانت تحيط بقواتنا .
وبعد المعركة صدرت الأوامر الى الكتيبة الأولى بالتقدم الى
المجدل .

وتقدمت الكتيبة التاسعة الى أسدود
ثم صدرت أوامر جديدة الى الكتيبة الأولى بالاتجاه شرقا
واحتلال عرق سويدان . . والغالوجا . . وبيت جبرين .

وكنت أكاد أفقد اتزانى وأنا أتابع هذه التطورات التى كانت
تنشرها صحف القاهرة قبل أن تتحرك قواتنا طبقا لها فى الميدان !!
ولم أكن أستطيع أن أدرك الهدف من هذه الأعمال جميعاً .



قبل أن يقف القتال بحكم الهدنة الأولى كانت قواتنا
مبعثرة بشكل عجيب فأصبح قائدنا العام قائدا بلا جنود ... ؟

لقد كان هم قيادتنا أن تحتل أكبر مساحة من الأرض وكانت نتيجة ان الكتائب الأربع توزعت على خطوط طويلة .
وأصبحت قواتنا المبعثرة لا هم لها الا حماية نفسها ومواصلتها ولم يعد هناك تحت تصرف القيادة احتياطي متحرك، تستطيع أن توجهه الى ضرب العدو ، وأصبح قائد الجيش المحارب . .
قائداً بلا جنود ا أو هو في الكثير يحكم مجموعة من نقط الحراسة مبعثرة على جبهة واسعة .
وكنت أرى بوضوح أننا فقدنا تماماً القدرة على المبادأة ، سلمنا للعدو طائعين مختارين .

الحرب السياسية ا

وكان هذا الذي كنت أراه في مكاني في غزة ، واضحا أمام ضباط والجنود في الخنادق، وكان له أثره المدمر على الروح المعنوية كان كل جندي يشعر بالنقص في السلاح .
واكثر منه يشعر بالنقص في الخطط .
وأحس كل واحد أن القائد العام في الميدان لا يملك من قواته شيئا وأنه لا يتصرف طبقا لاحتياجات الميدان ، وإنما

هو يتصرف تحت تأثير عوامل أخرى أبعدا عن حسابه ظروف الميدان .

وكان شعور الجنود والضباط بأنهم تحت رحمة العدو ، وهم هناك في مراكزهم المعزولة المتناثرة ، يجعلهم يشعرون بأنهم هدف منعزل محدد ثابت ، أمام عدو قادر على الحركة السريعة .. وعاد الكلام في الخنادق مرة ثانية عن الحرب السياسية

وكانت كارثة « الحرب السياسية » أبغض شيء الى تفكيرى فى تلك الظروف ، فقد كنت أعرف من عبر التاريخ انه ما من جيش دخل حربا سياسيه الا هزم فيها ، وكانت آخر الأمثال فى ذاكرتى هزيمة ويفل فى معركة اليونان .

ان الحرب يجب أن تكون حربا
والقائد فى الميدان يجب أن يتصرف طبقاً لظروف الميدان .
ولكننا كنا فى حرب ولا حرب .

وكان لنا قائد ولكن ليس له جنود ، لأنه بعثرهم على جبهتهم واسعة بحيث أصبحوا قوات حراسة تكاد مع التفاوض الشديد تكنى لحماية نفسها فقط !!

ووصلت كتيبة جديدة الى الميدان . . هى السكتيبة السابعة



سلاح الحدود ... يجرس ابواب مصر

وصدرت الى الأوامر بان أسلمها قطاع غزة لأن كتيبتنا كان
عليها أن تتقدم الى الأمام وتحتل مرا كز أسدود .
وكنت أشد الناس سعادة بهذه الأوامر .
كنا — أخيراً — سنلقى بالعدو ونخوض معركة ضده .
وكنت — مرة أخرى — سألتقي بعبد الحكيم عامر فقد
كان هو أركان حرب الكتيبة التاسعة المحاربة في أسدود ، وكنت

كأركان حرب للكتيبة السادسة سأسلم منه — مرة أخرى
المواقع التي تحتلها كتيبته ٩.

وقبل أن تتحرك من غزة جاءتنا أوامر غربية .
جاءتنا إشارة استعداد بان نجهز أنفسنا لنجدة الجيش الأردني الذي
كان مشتبكا في معركة يباب الواد .

ولم تكن لدينا أية معلومات عن معركة باب الواد . .
وكان مدهشا في رأي أن تكون لنا أربع كتائب في فلسطين ، ثم
نتخلى عن واحدة منها — ربع الجيش المحارب تماما — ونبعث بها
الى حيث لا ندرى في باب الواد !
ولكن الأوامر من حسن الحظ الغيت .
وكنا على استعداد للتحرك ، ومضينا الى حيث كان علينا أن
نمضي أولا ... الى اسدود ... الى حيث سنلتقى — أخيراً — بالعدو
وجها لوجه ! !

تحت شجرة برتقال

والثقت بعبد الحكيم في اسدود .
كان كما تركته لآخر مرة ، ابتسامته التي تبعث على الثقة ، وروحه
طليقة ، وقضينا معا ليلة لا أنساها
كان فراشه في خرة في حديقة برتقال .

ووضعت فراشي في الحفرة نفسها على الناحية الاخرى
من شجرة البرتقال .

ولم تتم طول الليل .

كان الجو غريبا مثيرا

كنا في أقصى المواقع الامامية قرب العدو ، وكان جهاز
اللاسلكي بجوار عبد الحكيم ينقل اليه التطورات دقيقة بدقيقة .

وعلمت من عبد الحكيم لأول مرة ان هجوما سيقع في الغد
على مستعمرة نيتساليك كما حدث من قبل في دير سنيد .

وبدا عبد الحكيم يهدى قلقي

قال لي أنه تعلم دروسا عن دير سنيد

وقال لي ان روح الضباط الشبان عالية لدرجة أنه أجرى

قرعة بين السرايا لكي يحدد أيها يقع عليها مهمة قيادة الهجوم . ولكن

قائد إحدى السرايا تطوع ورفض اجراء القرعة وكان هو اليوزباشي

محمود خليف ، وكان أحد أفراد تنظيم الضباط الأحرار .

وتركني عبد الحكيم عند الفجر ومضى إلى المعركة .

وقضيت يوما مشحونا

كان على أن أرتب مواقع كتيتنا في مواقعها الجديدة !

وكنت مشغولا في الوقت نفسه بالذي يجري أمامنا الى الغرب على

الساحل في نيتساليك ، وكنت أتسقط أخبار المعركة .

وعند العصر جاءتنا الأخبار بأن الكتيبة التاسعة نجحت في عملها
وأنها استولت على مستعمرة نيتسالييم .

وعلمت أن خليف قائد السرية المتقدمة قد استشهد .

وعلمت أن عبد الحكيم عامر لم يطاوعه قلبه — ففضى مع السرية
المتقدمة وأن شظية أصابته ولكنه سليم بخير .

وكانت تلك هي المعركة التي رقى فيها عبد الحكيم ترقية استثنائية
في الميدان .

• وقضينا الليلة والعدو يطلق علينا النار ونحن نبادله نيراناً بنيران .

ولكن خواطري لم تكن معي .

كانت تحلق فوق أرض الميدان كله .

كنت أقول لنفسى :

— ها نحن قد نجحنا في معركة نيتسالييم .

إن روح الشجاعة لا تنقص ضباطنا وجنودنا إذن

ولكن ذلك كان العامل المشجع الوحيد ، وفيما عداه كان
الموقف كله يبعث على القلق .

كنت بخيال أطوف الميدان كله فأجد قواتنا المبعثرة يقل تركيزها
كلما اقتربت من الخط الأول لملاقاة العدو

كانت منتشرة على مساحات واسعة من الأرض على عددها القليل

وكانت كما قلت قد تحولت الى نقط حراسة عليها أن تحمى نفسها .

ولم يكن هناك فائض قوات يمكن استخدامه في هجوم .

لم نكن نحارب كجيش وإنما تحولنا بعد دخول فلسطين إلى جماعات متفرقة على مراكز واسعة الانتشار . وكانت النتيجة أن العدو نجح في تثبيتنا فيها . واحتكر لنفسه حق الحركة وحشد القوات والهجوم علينا من حيث يريد .

وكننت أسأل نفسي وألح في سؤالها :
لماذا فعل قائدنا ذلك ... لماذا شنت قواته وبعثها بهذه الطريقة .
لماذا سمح لنفسه أن يتدفع في خط طويل مكشوف من كل ناحية أمام العدو ؟

على ربوة عالية ١

وبدأت أخبار الهدنة تصل إلينا في الخنادق .
وجاءتنا الأوامر بوقف القتال في السادسة صباحاً من يوم الجمعة .
وعاد الكلام مرة أخرى عن الحرب السياسية .
ولكن العدو لم يأخذها حرباً سياسية فقبل حلول موعد وقف القتال بساعات تلقيت الأخبار بأن قوات منه قطعت الطريق بين المجدل واسدود .

واستطعنا مع العصر أن نخرج العدو بالقوة من المراكز التي كان يحصنها على طريقنا والتي لو بقي فيها لاستطاع أن يمنع النجدة والمؤن عن قوائنا في اسدود طوال فترة الهدنة .

وفدت سيارة الجيب عند العصر إلى حيث الموقع الذي حاول العدو احتلاله ، ورأيت لأول مرة جثث القتلى من جنوده وحولهم ما كان معهم من ذخائر .

ووقفت على ربوة عالية قرب هذا الموقع ومرة أخرى بدأت
خواطرى تسرح .

ها أنا على ربوة عالية في فلسطين بين المجدل وأسدود .
البحر يزرقة الداكنة تمتد الى حافة الأفق جليلاً مهيباً .
والشمس الحمراء في موكب الغروب والوانه الرائعة تهبط وراء البحر
وبالقرب منى جثت عدو يحاول أن يقتلنا وقد نجحنا في قتله .
والى الشرق مواقع قواتنا المتناثرة ... التى أدت كل ما طلب منها
حتى الآن برغم العقبات التى واجهتها والمصاعب التى سدت طريقها ...
برغم الجبهة الواسعة . . برغم القوات المشتتة المبعثرة . . برغم الحرب
السياسية ... برغم النار تندفع اليها بلا دروع تحميها !
والى الجنوب مقر قيادتنا الا تعيش فى ميدان القتال وتحارب
حرباً سياسية .

والى الجنوب الشرقى عاصمتنا التى تتحكم فى أمرنا وتوجهنا الى حيث
تريد وارادتها اليوم هى حرب ولا حرب .
وهناك بعيداً ... فى نيويورك مجلس الأمن حيث مجموعة من أحد
عشر رجلاً قرروا فيما بينهم أن توقف المعركة التى نعيش فيها وعليها
أن نطيع .

وملاّت رقتى بهواء البحر واستدرت الى سيارتى عبر جثت العدو
المبعثرة قرب الطريق وأنا أسأل نفسى :

— ماذا بعد ذلك ... ترى ما الذى يخبئه لنا القدر ؟ ! !

زمام المعركة

كان حالنا قبل الهدنة حربا ولا حرب ا

وبعد أن عقدت الهدنة تطور حالنا الى سلام بغير سلام . .

وكان هنالك شعور عام على خطوطنا بأن القتال لن يستأنف مرة

أخرى ... وكان المنبع الذي انبثق منه هذا الشعور دون شك هو خرافة

الحرب السياسية .

وما من شك أن ظواهر الأحوال ساعدت هذا الشعور على أن

يغمر خنادقنا .

كنا نقوض حربا بلا استعداد ، في كل ناحية كان يمكن أن يستعد

لها جيش يحارب . .

كان قائدنا في الميدان يخضع من القاهرة لتوجيهات هي آخر

ما تقتضيه احتمالات الميدان . .

كان في نيويورك — حيث مجلس الأمن — من يملك أن يفرض

الصمت على مدافعنا بإشارة من يده . . ا

وظهر التراخي — نتيجة لهذا كله — على مواقعنا ، وكنت من

مكاني في اسدود كأركان حرب للكتيبة السادسة أرقب هذه الحال بقلق

لا أستطيع أن أخفيه .

وكان الذي يزيد من قلقي أنه في الوقت الذي يحدث فيه ذلك لناحيةنا



ان تهزم مصر فى المستقبل وبين جوانبها امثال هؤلاء الابطال ...

من خط القتال ... تضج الناحية الأخرى بما يمكن أن يكون نقيضا
له فى كل شيء ..

وكان فى اسدود برج عال ، وكنت أصعد الى أعلى البرج أحاول أن
أمد بصرى إلى الناحية الأخرى . .

لم يكن عليها هدوء ... لم تكن تحمى هدنة . .
كان النهار يكشف أمامنا حركة متصلة .

وكان الليل يفشى أسراراً . يحاول أصحابها اخفاءها تحت ستار الظلام .

وكنت عند ما يجيء الليل في كثير من الأحيان ، أترك مركز رياسة السكتية الذي كان في مبنى محطة السكة الحديدية المصنوع بالأسمنت المسلح واتجه الى البرج العالى ، وأقف هناك ساعات متصلة ... وعيوني متجهة عبر خطوطنا الهادئة الى الناحية الأخرى ..

كانت أنوار المستعمرات البعيدة تبدو واضحة من ارتفاع البرج العالى . وكنت ألح أنواراً كثيرة متحركة متجهة الى المستعمرات عائدة منها . .

كان الموقف العسكرى كله من فوق البرج العالى ، يبدو أصرح وأجلى ما يكون .

كانت أيام القتال بالنسبة لنا حرباً ولا حرب .

وكانت بالنسبة للعدو حرباً فقط .

وأصبحت أيام الهدنة بالنسبة لنا ، سلام ولا سلام . . .

ولم تصبح بالنسبة للعدو سلاماً قط !

لم يهتفوا للقائد الاعلى !

كانت الاخبار تصلنى بانتظام عما يجرى فى الناحية الأخرى من الخطوط .

وكان الموقف على الخريطة أشبه ما يكون بالموقف كما يبدو من
 قمة البرج العالى الذى يحمل فنتاس الماء لاسدود .
 فى أول يوم للهدنة تحرك العدو . فاحتل عوديس التى كانت قرية
 عربية تكاد تكون متداخلة مع خطوطنا . .
 وتحرك العدو أيضا فاحتل بيت دوراس .
 وتحرك العدو فاحتل الجسير .
 وتحرك العدو فاحتل الصلوج .
 وتحرك العدو فاحتل جوليس .
 وتحرك العدو وحاول أن يدفع بعض قوافله المتسللة عبر خطوطنا
 الى المستعمرات المحاصرة فى النقب الجنوبي .
 العدو اذن لم يأخذ الهدنة جدا . .
 لقد كانت بالنسبة له فرصة للتعزير ... انه يقفز تحت ستارها إلى
 مواقع حاکمة يستطيع منها ، يوم تنتهى الهدنة ، ان يبدأ عملياته من أكثر
 المراكز ملاءمة لإغراضه .
 كان الموقف واضحا لا خفاء فيه لمن يكلف خاطره فيلقى نظرة على
 الخريطة . أو يتجه بعينه عبر الناحية الأخرى من خط القتال .
 ومع ذلك لم يبد فى قيادتنا ما يدل على انها وعت المعنى الحقيقى
 الذى يجرى أمامنا . وكان الذى يشغلنا على ما يبدو فى ذلك الوقت هو
 إعداد التقارير الضافية عما جرى من يوم بدأت المعركة حتى فرضت

الهدنة ، وكان أبرز ما اهتمت له قيادتنا وأسببت في وصف تفاصيله هو كيف اقتحم الجنود مستعمرات العدو وهم يهتفون بحياة جلالة القائد الأعلى للجيش . وهو ما لم يحدث قطعاً ، فان الجنود المهاجمين كان يشغلهم من نيران العدو ما لا يمكن معه أن يخطر ببال واحد منهم أن يهتف لجلالة القائد الأعلى للجيش . .

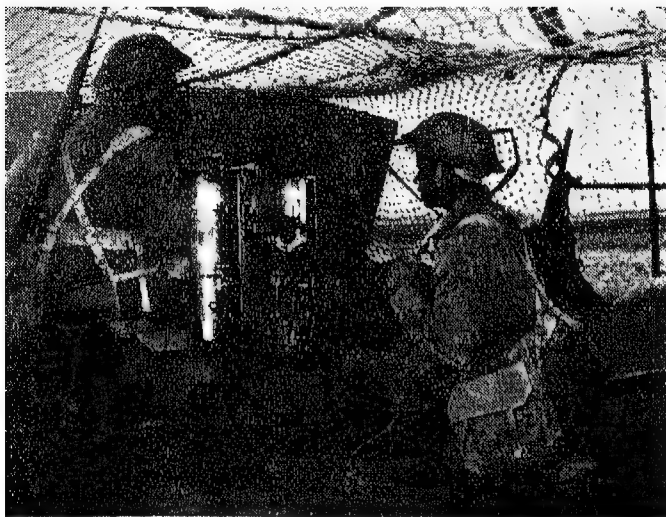
ماذا نصنع هنا ؟

ومضت الأيام . .
ومع مضي الايام كانت همومى تزداد .
لم يكن هناك ما أشكو منه فى اسدود فقد كان كل ما نحتاج اليه متوافر وزيادة .

كنا نعيش وكأننا فى معسكر فى القاهرة .
كانت الضحكات تملأ خنادقنا ، وكانت النكات تلف المواقع . .
وكانت بعض النكات التى تضحكننا فى ذلك الوقت خليقة بأن تبكىنا . .
واذكر ذات يوم انى التقيت بجندى من كتيتنا وخطر فى بالى —
دون سبب محدد — ان أوجه اليه سؤالاً أحاول ان أعرف من وراءه مدى فهمه للذى يقوم به فى فلسطين . .

وقلت له :

— احنا هنا بنعمل ليه يا عسكري ؟



- .. خلقت الثورة أمثال هؤلاء الأبطال ..
• انهم يؤمنون برسالتهم في الدفاع عن أرضهم .
وقال الجندي ، ولن أنساها طول عمري :
— احنا هنا بنناور يا افندي ٢٠٠ ؟
وذملت وقلت له :
— نناور ... نناور فين يا عسكري ؟
وقال الجندي بلهجة الذي يقرر حقيقة بدهية :
— في الريكي يا افندي ١٠٠

ومنطقة الريبكى هي المنطقة الواقعة على طريق السويس ، والتي
اعتاد الجيش المصرى أن يقوم فيها بمنا وراته كل عام . . .
كنا اذن نناور فى الريبكى ، ولم نكن نحارب فى فلسطين . . .
أو هكذا كان يعتقد جندى من كتبتنا
ولكن هل كنا نستطيع أن نلومه ؟ ؟

أعمق من الثقة والصدقة ؟

وضقت ذرعا بالبقاء فى مركز رياستنا فذهبت أتجول فى المواقع
وأعرف حقيقة الجو فيها بين الضباط . .
ولا أنكر أنى فى حقيقة الامر كنت أحاول أن أضم بعضهم الى
تنظيم الضباط الاحرار . .
ولم أكن أتجه الى الأمر مباشرة فى أحاديثى مع الضباط ، فلم أكن
أريد أن أشغلهم عن الجو المحيط بهم مباشرة ، ولا أن أشنت أفكارهم
عن العدو الرابض أمامهم متربصا بهم . ولكن طريقي فى ذلك الوقت
كانت تركز على عاملين .
أن أعطى الثقة لكل من أقابلهم . .
والعامل الثانى . أن أقوى صلتى الشخصية بهم إلى أبعد حد . .



شیطان ... من شیاطین الجو

وكنت واثقا — وبررت التجربة أسباب ثقتي — أن الثقة والصداقة كفيلتان عند ما يحين الوقت المناسب أن تتحولا الى شيء أعمق . وأنا أنظر حولي الآن ، فاجد وجوها كثيرة في تنظيم الضباط الأحرار التقيت بها لأول مرة في الخنادق في تلك الفترة العجيبة من حياتنا في فلسطين . . .

اليقين الضائع

وقاربت الهدنة أن تنتهي . . .
وكان لا بد لجو التراخي على خطوطنا أن يشعر بالحنج ووخز الضمير . . .
وبدأت محاولات لتدريب الجنود .
ووصلتنا أحاديث عن نجيدات سوف تصل إلينا تتقدمها قوات مدرعة ...
وانعقدت في قيادتنا مؤتمرات لبحث الموقف عند ما تنتهي الهدنة .
وتلقت كتيبتنا في صباح يوم ٢٨ يونيو أمرا إنذاريا بالاستعداد للهجوم في يوم لم يحدد بعد ... على هدف لم يحدد أيضا . . .
وكان هناك شيء غريب في هذا كله ، كان مفروضا أن يكون هذا كله جدا ، ولكن شيئا ما ، نبرة خفية في صوت الحوادث كادت تحمل على الشك .

كان هذا كله أشبه بالجد ... ولكن — وهذا هو الغريب — لم
يكن جدا !

فقد كان الشعور بأن الهدنة دائمة وبأن القتال لن يستأنف مرة
أخرى ، وبأن الحرب كلها مناورة سياسية ، لا يزال يملأ خنادقنا .

وحضرت في تلك الفترة مؤتمراً في رئاسة اللواء .
وأذكر أن شعوراً غريباً كان يملأ خواطري وأنا أجلس الى مائدة
الاجتماع في رئاسة اللواء .

كان اليقين الكامل ينقص كل ما كان يدبر ويرسم من خطط . .
وخيل الى أنني أرى مسرحاً أعمى .

مسرحاً يحاول كل واحد من الواقفين فيه أن يتقن دوره ... ويبالغ
في رسم معالمه ، ولكن كل واحد منهم يدرك انه مجرد دور ، ثم ينتهي
ويعود الى شخصيته الاصلية .

وكان هذا يتناقض مع روح القتال كما كنت أتصورها ، فان مواجهة
المعركة والتدبير لها ليسا مجرد دور يجيد بمثله أو لا يجيد ، انه حياة وهو
في كثير من الاحيان موت أيضا . . !

ولكن اليقين كان ضائعاً ... ومن هنا اختفت روح القتال
الحقيقية . .

عنب بيت دوراس ١

وفى ٢٠ يونيو حضرت مؤتمرا حريبا ثانيا في رياسة اللواء . .

كنت أحضر كأركان حرب للكتيبة السادسة ، وكان مفروضا أن تتلقى فيه تعليمات قيادتنا عن الخطة المقبلة لقواتنا ساعة تنتهى الهدنة . كانت الخطة هى القيام بعمليات هجومية على طول الجبهة .

وفى قطاعنا نحن كان الوضع كما يلى :

تتقدم السكتيبة السابعة — التى كانت قد وصلت إلى الميدان قبل الهدنة بقليل — وتستولى على بيت دوراس .

يجبء دورنا نحن ، الكتيبة السادسة ، بعد ذلك مباشرة حين نتقدم إلى احتلال الصوافير الغربية والصوافير الشرقية .

ولم يكن مفروضا بالطبع أن أناقش الخطة ، فلم نكن فى المؤتمر لى نناقش وإنما لى نتلقى الاوامر ، ويكون جوابنا عليها هو السمع والطاعة .

ولكنى لم أستطع أن أمنع عقلى من أن يناقشها . وأن كنت كبحت جماح لسانى عن أن ينطق بكلمة واحدة بما يدور فى رأسى . . وكان الذى فى رأسى سهلا منطقيا .

هذه الاهداف التى ترسم الخطط للاستيلاء عليها ، كانت يوم الهدنة — وقبلها بالطبع — خالية تماما من قوات العدو ...

فماذا سكنت قيادتنا عن احتلالها؟

لماذا تركت العدو يصنع هذا في فترة الهدنة ، وأعطته شهراً كاملاً لكي يدعم مراكزه فيها ويحصنها ... وبعدها نعود نحن لنهاجم لكي نستولى ...

بل أكثر من ذلك ...

كانت هذه المناطق كلها خالية حتى الى ما بعد أسبوعين من قيام الهدنة ، وكانت دورياتنا تذهب اليها ، وبعض الدوريات كانت تعود من هناك بكميات من العنب الشهي كنا نسميه عنب بيت دوراس . فلماذا لم تسكلف واحدة من هذه الدوريات العائدة بالعنب أن تبقى في بيت دوراس وتحتلها ، وبالتالي تمنع العدو من احتلالها ، وبالتالي أيضاً توفر الجهد الذي سنبدله الآن للاستيلاء عليها ...؟

وبمعنى آخر كانت كل هذه المواقع أماناً لناخذها بدون قتال ... ولكن قيادتنا العامة آثرت أن تترك الفرصة السانحة للعدو لكي يستولى هو على هذه المواقع دون قتال ثم يخوض جنودنا معارك حامية لكي يستردوها من يده ..

وكانت الافكار تتداعى في رأسي : واحدة بعد واحدة وانا جالس في المؤتمر أسمع ولا أتكلم وفي رأسي ما فيه من خواطر ... إذن فان قائد العدو هو الذي أخذ المبادرة في يده ...



طلّاع جيش مصر الحديثة ...

وإذن فان قائدنا لم يستطع أن يقدر قيمة هذه المواقع فتركها لخصمه
ثم أحس هو بعد خصمه بقيمتها فبدأ يجند الرجال لإستردادها ،

ومع ذلك ، قتلها لنفسى ، وانا أطرح ما فى رأسى كله جانبا : أن
المهم الآن هو الواقع الموجود على الطبيعة ، ولنترك ما كان أو ما كان
يجب ان يكون ... !

محاولات استكشاف :

وعدت الى كتيبتى بعد المؤتمر فى ذلك اليوم وقلبي تملؤه الاحلام ..
كيف كانت الاحوال المحيطة بنا ، فيجب أن نقف على أقدامنا
ونخوض معركة مجيدة ..

كنت أريد أن أفعل كل شيء من أجل كتيبتى ... !

كنت أريدها ان تضرب مثلاً فى الميدان لغيرها من الكتائب ،
وكنت أحس على أى حال أكثر من غيرى ، بالمصاعب النفسية التى
تعيش فيها الكتيبة .

كانت الكتيبة ما زالت تعانى آثار التجربة التى واجهتها أمام
الدنجر ...

وصممت فيما بينى وبين نفسى ان تتلافى كل الاخطاء ، وان نحسب
كل العوامل ، حتى لا يتكرر الذى حدث فى معركة الدنجر .

وفى صباح أول يوليو ، والهدنة ما زالت تحكم أرض العمليات
خرجت مع قائد الكتيبة وزملائنا من الضباط الذين ستقع عليهم
مسئولية العمل ، لى نستكشف بعيوننا الميدان الذى سنحارب فيه .

ولكن الاستكشاف لم يكن سهلاً كما تصورنا ، فاننا لم نستطع على
الاطلاق أن نلقى نظرة واحدة على الصوافير الشرقية والغربية ...

وكان السبب ان التبة العالية الممتدة أمامنا تخفى الصوافير تماما عن أنظارنا ولم يكن في استطاعتنا ان نصعد على التبة العالية ونلقى نظرة من فوقها ، لأن بيت دوراس التي يحتلها العدو كانت تتركز فوقها من ناحية ومن الناحية الأخرى كانت تتركز على معسكر جوليس الذي يحتله العدو أيضاً ...

وكان من رأيي انه لا بد ان تكون لدينا معلومات عن الهدف الذي نثوى أن نحارب من أجله ، وأن تكون هذه المعلومات مفصلة ، وإلا تكررت كارثة الدنجور ... !

وخرجت في اليوم التالي ، ومعى ضابطان . أولهما ضابط مخبرات الدكتيبة ، والثاني هو الملازم أول اسماعيل محي الدين ضابط فصيلة الحملات .

وكان معنا اثنان من الجاويشية ...

أولهما الجاويش عبد الفتاح شرف الدين ، الذي لا يزال حتى الآن صول شرف في القوات المسلحة ، والذي اعتبره من أكثر الناس بلاء في فلسطين ...

وثانيهما الجاويش عبد الحكيم ، وهو الآن يعمل سائقاً في المنيا ، وقد زرتها منذ شهور قليلة ، وكان من أمانى أن ألتق فيها بعبد الحكيم .

ليست قصة مغامرة ١

كان يخالجنى شعور بان الاستيلاء على الصوافير سيكون عملية سهلة .
ولست ادرى لماذا كنت أشعر شعورا خفيا بأن قوات العدو فيها
ليست مما يخشى خطره ...

وعلى أى حال فها نحن فى الطريق لىكى نرى بأنفسنا ونستكشف .
وتركنا سيارتى الجيب اللتين كننا نركبهما ، ثم بدأنا المرحلة
الخطيرة من رحلتنا داخل مواقع العدو ..

كننا نخترق أرضا كلها حدائق ، وكنا نقتل فى صمت بين
الأشجار ...

كان اسماعيل يحيى الدين — رحمه الله فقد استشهد بعدها بقليل —
يسير فى المقدمة .

وكنت بعده وبجوارى ضابط المخبرات .

وكان عبد الفتاح وعبد الحكيم يسيران إلى جانبنا وفى يد كل منهما
مدفعه المتأهب لقذف النار .

ولست أريد ان أمضى فى تفاصيل الخطر الذى كان يحيط بنا .
فان ما أرويه هنا هو قصة جيش ، وليست قصة مغامرة ...

والمهم على أى حال اننا استطعنا الوصول إلى موقع متقدم يقع
وسط خطوط العدو ، ولقد بدت لأعيننا الصوافير الشرقية والصوافير
الغريسة .

دليل من الكروم الناضجة

وقضينا نصف يوم نملأ عيوننا بما حولنا ...

تاملت كل نقطة في الصوافير ، ودرست احتمالاتها ،
وقام ضابط الخبايا برسم تخطيط كامل لمنطقة معسكر جوليس
وما يحيط به من تحصينات .
ولقد وجدت ما يعزز رأيي الذي سبق ان كوَّته عن قوات العدو
في الصوافير .

لا بد ان عددها كان قليلا كما توقعت ... كان كل شيء حولى
يؤيد هذا الرأي ، حتى اشجار الكرم المثقلة بما كانت تحملها من عنب
ناضج ، فلو أن قوات الصوافير كانت جموعاً كبيرة ، لما تركت منطقة
الحدائق التي كنا فيها خالية ، ولما تركت هذا العنب الناضج الحلو مدلى
من شجرة ...

ولم يطل استمتاعنا بالعنب على أى حال ... فلقد لحنا احدى
دوريات العدو متجهة الى موقع النبي صالح ، حيث تركنا سيارتنا ...
وهكذا بدأنا تتسلل عائدين ... !

وعدنا في اليوم التالى الى منطقة النبي صالح واكتفيننا بالوصول اليها
فلم تكن بنا حاجة الى مغامرات الأمس ، وفي هذه المرة كان معنا قائد
الكتيبة وقواد السرايا ، فقد أردت ان يرى كل منهم على الطبيعة دور
في العملية ، وكان في رأيي ان هذا يحقق غرضين :

الأول أن ترتفع روح الكتيبة المعنوية بأن تدرك تفوقها على العدو
الذى تعلم كل شىء عنه وعن مواقفه قبل مهاجمته .
والثانى ان تحقق الكتيبة من وراء ذلك نصراً يرفع اسمها بين
الكتائب المحاربة فى الميدان ...

سوء الحظ يتدخل !

وفى يوم ٦ يوليو كنت أستطيع أن أفاخر بأنه ما من كتيبة من
الكتائب المتأهبة للعمل فور انتهاء الهدنة تعرف دورها مثل كتيبتنا ...
كان كل واحد من ضباط الكتيبة يعرف عمله .
وكنا جميعاً على استعداد ..

كل الذى ننتظره ان تحرك الكتيبة السابعة قبلنا فتحقق غرضها
بالاستيلاء على بيت دوراس ، وفى أعقابها نتقدم نحن إلى الصوافير ... !
ولكن الأمور لم تسر على النحو الذى أعددنا أنفسنا له ، فان
الكتيبة السابعة لم تستطع أن تقوم بدورها فى الخطوة .

ولم يكن الذنب ذنب الكتيبة ، وإنما جاءت الكارثة من
مهزلة صنعها سوء الحظ .

كان المفروض أن تتقدم قوة سودانية وتقوم بهجوم ليلى
على بيت دوراس وتقتحم مواقعها بالليل معتمدة على المفاجأة .

وكان على القوة أن تطلق إشارة ضوئية خضراء إذا نجحت
مهمتها وحينئذ تقدم الكتيبة السابعة في أعقابها لتدعم وتمزق
أما إذا لم تستطع القوة السودانية أن تتم اقتحامها فعليها أن
تطلق إشارة ضوء حمراء وتبتعد قليلا عن بيت دوراس لأن
الخطأ في هذه الحالة أن تركز مدفعية الميدان الثقيلة كل نيرانها
على بيت دوراس .

ونجحت القوة السودانية في اقتحامها .

ولكن الفشل كان يدخر جهده حتى اللحظة التي تطلق فيها
الإشارة التي تنتظرها الكتيبة السابعة .

كان مفروضا أن تنطلق الى السماء المظلمة إشارة خضراء .

ولكن الجندي المكلف بإطلاق الإشارة استعمل طلقة حمراء
وحين ارتفعت الإشارة الحمراء في ظلام الليل بدأت مدفعية
الميدان كلها على الفور تدق مواقع بيت دوراس التي تحتلها القوة
السودانية .

وفشلت المعركة طبعاً .

فقد انسحبت القوة السودانية بسرعة وعند ضرب المدفعية
عاد العدو الى احتلال بيت دوراس من جديد .

لقمة تتحجر في حلقى ١

وكنا نحن في الكتيبة السادسة نكاد نجن لهذا الذي حدث .
كان معناه بالنسبة لنا أن تضيق الفرصة التي أعددنا أنفسنا
لها وتضيق معها الآمال التي منينا أنفسنا بها . ومعها كل
ما بذلنا من جهد وأعددنا من خطط .

ولم يكن هناك ما نستطيع عمله الا أن ننتظر التطورات
المحتملة ، وندعو الله أن تسنح لنا خلالها فرصة فنصنع الذي
أعددنا كل شيء لكي نصنعه ١

ولجأة تطورت الأمور تطوراً لم أكن أتوقعه .

واعترف فيما بيني وبين نفسي ، وقد مضى على ذلك الوقت
حتى الآن ما يقرب من ست سنوات ، انني لأول مره وأنا في
الميدان رفعت صوتي محتجاً ضد أمر صدر الى من قيادتي .

كنا يوم ٩ يوليو

وكنا جالسين الى الغداء في مركز رياسة كتيبتنا .

ودخل جلوش يحمل مظروفاً من رياسة اللواء عليه اسمي
بوصني أركان حرب الكتيبة السادسة ،

وقتحت المظروف وأنا على الغداء وبدأت عيناى تجريان
على سطوره . وفجأة أحسست ان الطعام تتحجر في حلقى ١

كان الخطاب يحوى سطرين هما :

١ — تسلم الكتيبة السادسة مواقعها اليوم الى الكتيبة الخامسة المتقدمة من غزة .

٢ — تستولى الكتيبة السادسة باكر ١٠ يوليو على بلدة جوليس

ولا بد أن ملامح وجهى فضحت ما كان يدور فى نفسى وانا أقرأ هذا الأمر فان كل من كان معنا على الغداء من الضباط توقفوا عن الطعام وتطلعوا الى . . وكان شعورهم مثال شعورى بعد أن عرفوا ما عرفت ! !

ها نحن توجه الى معركة لم تعد أنفسنا لها .

لم يقل لنا أحد ما هى مواقع جوليس وما هى قوة العدو فيها ، وما هى تحصيناته . وما هى قواتنا التى تعمل حولها . وما هى العمليات المحيطة بمنطقتنا !

ولم يعطنا أحد الفرصة لندرس غرضنا مثل ما فعلنا فى الصوافير .

وأحسست انه بالرغم من إرادتى ، وتحت سمى وبصرى توضع الكتيبة مرة أخرى فى نفس ظروف الدنجور دون أن يكون ييدى ما أصنعه !

وبدأت احتج .

ولكن ماذا يجدى احتجاجى !

سباق مع الشمس !

كان الوقت كالسيف المصلت على أعناقنا .

كان باقيا على غروب الشمس ثلاث ساعات هى آخر ما تبقى لنا من أمل لى تخرج فى الضوء وتلقى نظرة على الهدف أمامنا .

وخرجت مع القائد وقواد السرايا نحاول أن نقرب من جوليس الى اقرب ما يملن ان فصل اليه .

واقربنا فى حى لحدى سيارات البرتقال حتى أصبح بيننا وبين جوليس ما يقرب من كيلومتر واحد .

ولم نستطع أن نبقى طويلا .

فان العدو على ما يبدو أحس بوجودنا فبدأ يفتش المنطقة بقنابل الهاون .

ومن ناحية أخرى كان النهار يجرى بأسرع ما رأيت النهار يجرى فى حياتى ، وبدأت الشمس ترتقى فى أحضان الغروب !

ولم يكن مفر من أن نعود . . . وعدنا !

كلام كلية أركان الحرب ...

وجلس بعد عودتنا الى مركز الرئاسة أضع الخطة .
لقد أحس العدو أننا قنا بالاستكشاف من ناحية بيارة
البرتقال . وسوف ينتظرنا في الغد لكي نهاجمه منها بالطبع .
ولأن فلن يكون هجومنا الرئيسى غداً من هذا الاتجاه .
سوف تبعث قوة تطلق النار لكي يظن العدو أننا وقعنا
في الشرك ، ولكن القوة الحقيقية التي ستنفذ الهجوم سوف
تجىء من الخلف وسط مزارع الذرة وتنقض على مواضع
ووقع الخلاف بينى وبين قائد الكتيبة على دور المدفعية
والطيران في المعركة .
كنت كضابط أركان حرب أومن بالعمل المرتب الموقوت
بجداول محددة .
ورأى القائد ان يترك اليه امر توجيه المدفعية والطيران
حسبما يرى حاجة على الطبيعة عند المعركة .
ولم أكن أومن بهذه الطريقة ، ولكن لم يكن أمامى
ما أفعله بعد أن قال لى القائد :
— وحياتك يا خويا بلاش الكلام بتاع كلية أركان
حرب ده !

وبدا الصباح يطلع على أرض المعركة . . . وعلى المعركة
نفسها .

كانت البداية كما أردت وتمنيت .

ولكن الباقي . كل ما جاء بعد البداية ، لم يسر ، لا كما
أردت ولا كما تمنيت !

وكانت أولى الخطوات على الطريق الذى لم أردده ولا تمنيته
من قائد الكتيبة ، فقد قال لى فجأة وهو يراقب عمليات
المشاة :

— احنا بنعمل ايه هنا . . . ياللا نشوف عساكرنا تحت

وكانت تلك فى تقديرى روحا طيبة ، ولكنها كانت خروجا
على العمل الذى يجب ان يقوم به القائد .

ان مهمة القائد أن يمسك العملية كلها حتى لا تفلت ،
ولكن مهمته ليست أن يترك الزمام ويجرى الى التفاصيل
ويشغل نفسه بها وينسى قيادته المرجوة ساعة الخطر .

وحاولت أن أقنعه برأى ولكن الحماسة كانت قد ركبت

ونزلنا الى حيث كان جنود المشاة ولكننا لم نستطع أن
نصل فقد غرست سيارتنا على الطريق ولم نستطع أن تشق سبيلها

ونزلنا ، القائد ، وأنا ، وحراسه ندفع السيارة من حيث
عجزت عن الحركة .

وأحسست انى أفقد أعصابى ... بنفس الطريقة التى
أحسست اننا فقد بها المعركة ! !

لم نبق فى مركز القيادة حيث كان فى الامكان توجيه
المدفعيه وتوجيه الطيران ولم نصل الى جنود المشاة الهاجمين على
مواقع العدو .

وعندما وصلنا أخيراً الى مشاتنا الهاجمين ... بدأ قائد
الكتيبة الطيب يفقد أعصابه ، لقد التفت الرجل فوجد جنوده
يتساقطون من حوله . . بعضهم يقتل وبعضهم يجرح ، وبدأ
الرجل يصيح كالثور الهائج :

— العساكر يموتوا !

واقترحت عليه أن توجه الى الناحية الأخرى لئرى كيف
تسير العملية ، وذهب معى وكان او ما قابلنا أربعة من مدافع
الهاون تنتظر دورها فى المعركة ، واذا القائد يصرخ قائلاً :

— المدافع دى بتعمل ايه هنا ؟ ؟

ثم اذن هو يصدر أمره بأن تقدم المدافع الاربعة ، لكي
تتمكن من ضرب جوليس واذا هو يلتفت الى — أنا أركان
حرب الكتيبة — ويقول لى :

— اطلع معاهم ١١ —

ونظرت اليه في دهشة .

لقد كانت مهمتي كاركان حرب للكتيبة أن أبقى معه أساعده
في ادار العملية وتنفيذ الخطة التي رسمتها . . وكان في رأي ان
قيادة العملية باكملها قيادة صحيحة أهم ألف مرة من مظاهرة
شجاعة اخرج فيها بأربعة مدافع هاون .
وكان الموقف حساسا .

ولم أكن أريد ان أعارض قائد الكتيبة في رأيه حتى
لا يتصور الرجل ان معارضتي له لا تخرج من عقلى وانما تصدر
من أعصابى .

ونظرت له . وفي نفسى ما فيها وقلت له كلمة واحدة :

— حاضر ١ —

وانطلقت مع المدافع الاربعه وسط حقول الذرة الى أن
أصبحت جوليس فى تناول مرماها ١

دموعي تهطل بحرقه ١١

وبدأت مدافع الهاون تطلق قنابلها . ولكنى لم أكن
أسمع الدوى ، فقد كنت أتصور حال الكتيبة التى أفلت زمامها

وأحسست أن قلبي يتمرد على ، وعقلي يتمرد على قائدى ،
وكنت مطمئناً الى وضع مدافع الهاون فقررت ان أعود لىكى
أحاول إن أمسك الزمام قبل أن تقع كارثه .

وقال لى أول ضابط لقيته بعد أن خرجت من حقول الذرة
ان اسماعيل محي الدين قد قتل .

ولست أظن أن من حقى ان أخفى اليوم مشاعرى الانسانية .
انى أعترف انى لحظتها فقدت سيطرتى على عواطفى واذا
دموعى تفلت ، واذا انا أبكى بحرقه لم اشعر بها من قبل فى
حياتى .

كنت أبكى على زميل سلاح شجاع سقط فى المعركة .

وكنت أبكى على المعركة نفسها وزمامها فى يد الريح .

ووصلت الى مركز الرياسة ولم يكن فيه أحد .

وسألت عن القائد واذا هو خرج الى حيث لا يعرف أحد ،

وبدأت أطلع فى لهفة الاشارات التى تلقىها الرياسة من سراياها
المبعثرة فى الميدان .

واحدة منها تقول :

« وصلنا الى الغرض ... ما هى أوامركم ؟ » .

وثانية تقول :

« نحتاج الى ذخيرة » .

وثالثة تقول :

« وصلنا الى الغرض ارسلوا حمالات لنقل الجرحى ! »
وكانت الكارثة ، انها كلها اشارات يعود ارسالها الى وقت
هضى .

فما الذى جرى لهذه السرايا فى مواقعها ، وكيف واجهت
الموقف وحدها وقيادتها لا ترد عليها .

وحاولت أن أواجه الموقف بقدر ما أستطيع .
وحاولت أيضا ان اتصل بقواتنا الموجودة غرب جوليس
ولكن هذه القوات لم تكن ترد على اشاراتنا لها .
ثم فهمت السر حين وصل الى أحد راكبي المتوسيكلات
يقول :

« ان القائد أصدر امره بسحب القوة الموجودة الى الغرب
وهو يطلب منى ان أسحب القوات الهاجمة من الجنوب »

ولكن كيف أسحبها ؟ !

لقد سحب القائد القوة التى كانت تضلل العدو عنها دون
إخطارى أو إخطارها .

وبدأت أرى بوضوح أن كارثة تحلق فوق رموسنا ، وكان
الذى يحز فى نفسى ان القوة المتقدمة من الجنود للهجوم الاصلى

كانت تشق طريقها بنجاح .

وفعلت ما كنت مترددا في عمله طول الوقت .

تخطيت قائدى المباشر ، قائد الكتيبة واتصلت بقائد اللواء
أشرح له الموقف .

وعلى أى حال فقد تحول هدفنا بعد ذلك من محاولة الاستيلاء
على جوليس الى عملية يائسة لانجاذ قواتنا من الفخ الذى كادت
تسقط فيه .

أجىء معك

وقضيت ليلة حزينة .

أحسست أن كتيبتنا قد فقدت روحها المعنوية .

وأحسست ان روحها العسكرية تفرسها الشكوك وانها بالتالى
لم تصبح سهلة القياد .

وفى الصباح جاءنا أمر من رياسة اللواء .

« قائد الكتيبة السادسة يسلبها الى قائدها الثانى وينزل هو
الى القاهرة » .

ومن قلبي احسست بالرتاء للقائد الجديد .

ولكن شعورى بالرتاء لم يدم طويلا فقد وصلنا أمر آخر
بعد ساعة واحدة ، نصه كما يلى :

« تقوم الكتيبة السادسة باحتلال جوليس اليوم » .

وكان رأى أن هذا مستحيل .

وكان القائد الجديد متردداً !

كان مقتنعا بما شرحته له عن الروح المعنوية في الكتيبة ،
وعن حالتها ، ولكنه كان متردداً في أن يأخذ برأى ويعترض
على هذا الامر حتى لا يقال ان اول عمل له بعد أن أصبح قائداً
للكتيبة هو خوفاً من أن يخوض بها معركة .

وقلت له :

ليس امامك خيار ولن تفقد شيئاً على أى حال .

اذا اعترضت فقد يكون هناك احتمال بنقلك من قيادتك وهو

بمجرد احتمال .

واذا اطعت فان النصر مستحيل وسوف تنقل من قيادتك تلاحقك

الهميمة وهو أمر محقق .

واقنع القائد بمنطقي وقال لى :

تجى معى الى القيادة العامة ؟

وقلت له .

— أجيء معك !

مجرد صدفة !

وبينما نحن ندخل رياسة القوات بعدها بساعة واحدة لقيت

غرفة على بابها لافتة باسم : مكتب المساعدة الجوية .

ومررت عليهم أسألهم ان كان عندهم معلومات عن جوليس وإذا ضابط في المكتب يقول لي :

عندنا مجموعة من الصور الكاملة للمنطقة من الجو .

وسأله : هل يستطيع أن أراها ؟

ووضع الضابط أمامي مجموعة كاملة .

وبدأت أتأمل الصور وإذا أنا اكتشف حقيقة عجيبة .

ان جوليس نفسها الواقعة في سفح التبة ليست لها اية قيمة ، والمهم هو معسكر جوليس القابع فوقها على قمة التبة .

ولو فرض ونجحنا في دخول جوليس لكان معسكرها من فوق القمة قد صنع منها مصيدة ومقبرة في نفس الوقت لقواتنا .

وبعد مناقشة قصيرة اعتمدت على صور عثرت عليها بمحض المصادفة اقتنعت القيادة العامة لنا بأن الاستيلاء على جوليس كآرثة من حسن حظنا أن نعدل عنها .

وعدت الى مركز رياستنا وخواطري ثارة على كل شيء .

ثائرة على انه بمحض الصدفة فقط نجونا من كارثة محققة !

ثائرة على معلومات قيمة تضمنها صور التقطها الطيران فوق هدف كنا سنهاجمه ومع ذلك فما من أحد فكر في ارسالها الينا .

ثائرة على الذقون الحليقة الناعمة ، والمكاتب المريحة المرتبة في

مبنى القيادة العامة ، ولا أحد فيها يدرى بماذا تحس القوات

المحاربة في الخنادق ، ولا مدى ما تعانيه من الأوامر التي تصدر اليها .

بغير حساب .

ومع ذلك فلم تكن هناك فائدة ترجى من هذه الثورة .
وكان الاولى والاجدى أن أدخر أعصابى للمعركة الجديدة التى لم
تلبث ان وصلتنا الاوامر بالاستعداد لها ا

سوف أذهب معك ا

وكانت المعركة الجديدة نموذجاً صادقاً لكل ما غاضته كتيبتنا حتى
الآن من معارك .

كانت هى الأخرى معركة على خريطة .

أحدهم فى القيادة العامة نظر الى خريطة ملونة وأحس — ويده
الحق فى هذا الاحساس — ان لهذا الموقع أهمية قصوى فوضع اصبعه
عليه وارسل اليها أمراً باحتلاله .

ولكنه لم يبعث لنا مع الأمر بشئ يساعدنا على التنفيذ .
ولم تكن تلك التى تصلنا من قيادتنا العامة أوامر عمليات ،
لقد كنت أسميها فصاصات ورق وما أظن اننى اخطأت كثيراً فى
هذه القسيمة .

هذه المذكرات عن مجلة آخر ساعة
البقية فى الجزء الثالث من سلسلة « كلبة صريحة »



مطبعة التحرير (سابقا بولباريه)
٨ هارة فاجر عابدين الخيمه ١٩٠١٩
ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة